عِشرينيَّةَ الجهاد الأفغاني

من كتاب

مشروع تمكين الأمة المسلمة

الإصدار الثاني

تأليف
حسن أحمد الدقي

ثانيا: عشرينية الجهاد الأفغاني و آثارها على الأمة المسلمة والعالم

إن المتأمل في تاريخ الشعب الأفغاني، خلال العقود الأربعة الماضية، أي منذ افتتاح أمة الإسلام لقرنها الخامس عشر الهجري، يجد أن الله عز وجل قد منَّ على الشعب الأفغاني، بما لم يمُنَّ به على بقية شعوب الأمة المسلمة، فقد خاض الأفغان وحدهم، ملحمتين من ملاحم التاريخ، وتمكَّنوا من زلزلة عروش أقوى إمبراطوريتين في النظام العالمي، الذي تأسس بُعيد الحرب العالمية الثانية، وهما الاتحاد السوفيتي ثم الولايات المتحدة الأمريكية، وهو أمر شبيه بما أحدثه الصحابة رضوان الله عليهم، عند انبعاث أمة الإسلام، وتمكنهم من إسقاط الإمبراطورية الفارسية والرومية في آن واحد، والفرق بين الموقفين، أن الصحابة رضوان الله عليهم قد



أسقطوا أقوى إمبراطوريتين بشكل متزامن، بينما أنجز الأفغان مهمتهم بالتوالي واحدة تلو الأخرى.

وفيما يلي أهم دلالات عشرينية الجهاد الأفغاني التي امتدت منذ عام 2001م إلى عام 2021م:

- إن أهم معنى مارسه وطبَّقَهُ الأفغان، وهم يقاتلون الأمريكان لعشرين سنة، أنهم التزموا بأوامر الله عز وجل في الصراع العقائدي، كأحسن ما يكون الالتزام في تاريخ الأمة المسلمة، فلم يهربوا من القواعد والمقتضيات الشرعية التي أمر الله عز وجل بها عباده، فكان في فعلهم إحياء للدين وأي إحياء، فلم يَتأَوَّلوا ولم يَصرفِوا الأحكام عن وجهها الشرعي، فجازاهم الله عز وجل نصرا لم ير التاريخ مثله؛ فإنهم لما امتثلوا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ سورة محمد:7، ونصروا دينهم وأمتهم جاءهم النصر من عند العزيز الحكيم، وعندما امتثلوا قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ التوبة:14، وقاتلوا في سبيل الله عز وجل، انتقم الله لهم من الصليبيين الأمريكان وشفى صدور قوم مؤمنين، وعندما آمن الأفغان بقوله عز وجل: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾البقرة:249، فكانوا القِلَّة القليلة التي مثَّلت أمة الإسلام، في حربها ضد طغاة العصر، فثبَّت الله أقدامهم وهم قلة أمام كثرة عاتية من حملة الصليب، وعندما رأى المجاهدون الأفغان جيوش الناتو تزحف نحوهم، وصواريخهم تدك مدن أفغانستان، فإنهم ثبتوا والتزموا أمر الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ الأنفال:15، فجاءهم نصر الله العظيم على أعدائهم الكفَّار، وقد أفلح المجاهدون الأفغان عندما التزموا أمر الله عز وجل في قوله: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ الأنفال:46، فلم يقعوا في داء الساحات الجهادية

المعتادة في عصورنا المتأخرة، وهو التنازع على القيادة وتشتت الجماعات، فأثابهم الله عز وجل بالنصر والفتح المبين، وهكذا في بقية القواعد الشرعية في قتال المسلمين للكفَّار، يمكن أن تجد الأفغان وقد التزموا أمر ربهم جل في علاه، فكان ذلك سبب نصرهم وعلوّ شأنهم على أعدائهم.

- ثم تأتي بعد ذلك إشارة خطيرة ودقيقة، فقهها الأفغان المجاهدون المعاصرون، حيث لم تنطل عليهم أخطر حيلة، استخدمها الصليبيون الأوروبيون، منذ أن غزو بلاد المسلمين قبل قرنين، وهيمنتهم على الأمة من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي، وهي عدم وقوع الأفغان تحت وهم "منح السلطة"، ووهم "الاعتراف بالشرعية"، الذي يقدمه النصارى والنظام العالمي بيد، لكي يسلب باليد الأخرى السيادة الحقيقية للشعب الذي يقبل منهم تلك الأكذوبة، ولذلك لم يستعجل المجاهدون الأفغان، بقيادة حركة "طالبان"، قطف ثمرة الجهاد والحصول على "السلطة السياسية"، وذلك لإدراكهم خطورة هذا الفخ الذي وقع فيه الكثيرون قبلهم، ومن غرائب الأحداث، أن يسقط في هذا الفخ مَنْ تبقى مِن قادة الجهاد الأفغاني السابق، الذين قاتلوا الاتحاد السوفيتي، حيث تجاوبوا مع العرض الأمريكي، لاستلام السلطة من تحت أيديهم، وقتال إخوانهم تحت راية الصليب، فإذا بهم يدخلون كابل خلف الدبابة الأمريكية، فاستحلّوا "موالاة" الدبابة الأمريكية الصليبية وهي تدخل أرض أفغانستان عام 2001م، وحَرَّموا "موالاة" الدبابة السوفيتية الشيوعية عندما دخلت كابل عام 1979م.

- وقد بلغ الأفغان قمة الثقة بربّهم عز وجل وتوكلهم عليه، عندما عزموا على بدء مواجهة الاحتلال الأمريكي، وهم يرون سقوط دولتهم وسيطرة أمريكا على أفغانستان كلها، حيث استخدمت الحكومة الأمريكية كل أدوات الرعب العسكري والأمني، كما استخدمت بعضا من إخوانهم الأفغان في حربهم، ومع ذلك وضعوا خطة المواجهة طويلة المدى، والتي آتت أُكلها بعد عِقدين من الزمن نصرا وعزا وتمكينا.



- وقد أبدع الأفغان في استخدام ثلاثية "الثبات والأرض والزمن"، فقد ثبتوا على أرضهم ولم يتزحزحوا عنها، واستخدموا ميزة المَنَعة التضاريسية لأفغانستان، كما استخدموا طول الزمن كاستراتيجية لاستنزاف الجيش الأمريكي، ومعه جيوش حلف الناتو مجتمعة، ولأول مرة في تاريخ الإمبراطورية الأمريكية التي تأسست عام 1776م، تخوض حربا لهذه المدة من الزمن وهما عِقدين متواصلين دون انقطاع، ويتتابع على الحكم أربعة رؤساء أمريكان، ويحصدون جميعهم الفشل والخزي والهزيمة.
- أراد الأمريكان عبر غزوهم للأفغان، أن يضربوا الأمة المسلمة ضربتهم النفسيَّة الكُبرى والنهائية، حتى تسقط تحت أقدامهم، وتستسلم لهم في كل مكان على الأرض، وقد خَصُّوا أفغانستان بذلك، لأنها غدت النموذج المُحتذى في الجهاد والثبات، فقيض الله عز وجل لأمة الإسلام، هؤلاء الرجال بقيادة حركة "طالبان"، فأوقفوا الزحف الأمريكي الصليبي المستجد وأحالوه عدما، وأسسوا بذلك لمرحلة جديدة من نهضة الأمة، وثباتها في الصراع الدولي، وظهورها في الأرض من جديد.
- ومن أخطر الإشارات والدلالات في الحرب الأفغانية الأمريكية، أنها أثبتت تفوق الأفغان على العقول العسكرية الأمريكية، وهي التي تعتبر الأفضل في العالم، من حيث القدرة على التخطيط الاستراتيجي، والقدرات التكنلوجية، والمهارات التكتيكية العسكرية غير المسبوقة، والدعم المؤسسي البحثي والأكاديمي والتجريبي، ومع ذلك تمكن المجاهدون الأفغان من إثبات وجودهم، وتفوقهم على العقل العسكري الأمريكي، وعلى الآلة العسكرية الأمريكية في آن واحد، وبذلك فقد أسقط المجاهدون الأفغان وَهْمَ التفوق الصليبي الغربي، الذي تمثله أمريكا وحلف الناتو العسكري.
- لم يتزلزل قادة الجهاد في أفغانستان، أمام أعتى الحروب النفسية، التي شنَّها الأمريكان كأخطر نموذج معاصر في الهيمنة على عقليات البشر، حيث استخدمت أمريكا مسألة الحادي عشر من سبتمبر، كغطاء نفسي وذريعة لشن الحرب على أفغانستان، وحرَّكت كل أدواتها الإعلامية، ووكالات استخباراتها، وعملاءها من أنظمة العرب والمسلمين، لتحقيق أكبر أثر نفسي في الحرب على الأفغان، ومع ذلك



لم يبال المجاهدون بكل تلك "الأرمادا" النفسية، وثبتوا حتى تنزَّل عليهم النصر من ربهم عز وجل.

- ومن أهم ما أثبته المجاهدون الأفغان بقيادة حركة طالبان، استثمار النصر العسكري في النصر السياسي وعند بدء المفاوضات، فقد أثبتوا أنهم واعون لطبيعة المكر الصليبي الغربي، في مرحلة المفاوضات بعد الحروب، ومحاولة القوى الغربية أن تكسب بالمفاوضات السياسية، ما عجزت عن كسبه في الصراع العسكري، واستخدامهم لاستراتيجيات كسب المفاوضات، وإملاء شروطهم على المفاوضين، بحيث يؤدي ذلك إلى تحكمهم في إيجاد النظام السياسي بعد الحرب، والنجاح في إلغاء "السيادة" عن ذلك النظام وفرض الوصاية عليه، كما فعلوا بعد حروب التحرير التركية، وفرض الغرب الصليبي اتفاقية "لوزان" على تركيا عام 1923م والتي هي في الحقيقة "عقد إذعان"، حيث أملت على الشعب التركي أهداف العدو الصليبي الغربي، ومنها إلغاء الخلافة العثمانية، مقابل إعطاء مصطفى كمال "السلطة"، وكذلك فعلت فرنسا عندما سيطرت على "مفاوضات" توقيع اتفاقية الإذعان على ثوَّار الجزائر، وهي "اتفاقية إيفيان" عام 1962م، ففرضت على الشعب الجزائري الثائر "سلطة" يعترف بها المحتل القاتل، ووضعت بناء على تلك الاتفاقية شرذمة من العسكر، كانت مهمتهم مواصلة دور المحتل الفرنسي، إلى يومنا هذا، وكما فعل الكيان الصهيوني مدعوما من الغرب الصليبي، عندما أجبروا الفلسطينيين على توقيع اتفاقية الإذعان المُسمَّاة "باتفاقية أوسلو" عام 1993م.

- أما مستقبل النصر الأفغاني والسيناريوهات المحتملة له فهي تقع في ثلاثة سيناريوهات كما يلي:

السيناريو الأول:

"النصر السياسي بعد العسكري"

نجاح حركة طالبان في استثمار النصر العسكري على حلف الناتو، بإعلان مشروع سياسي وحكومة تمثل الشعب الأفغاني، وتعبر عن سيادته واستقلاله وتاريخ وجوده، ونجاحهم في بلورة الوثائق السياسية والدستورية لنظام الحكم، وفق مبادئ



النظام السياسي الراشدي، من مرجعية الشريعة القانونية، وسلطان الأمة السياسي، وحقها في اعتماد نظامها السياسي، وتولية من تراه مستحقا للولاية، وتحول النظام السياسي إلى نظام مؤسسي راسخ، يعتمد على المبادئ لا على الأشخاص والجماعات، ونجاح النظام السياسي في التنمية الاقتصادية، والحفاظ على الثروات وتنميتها، والعناية بالشعب الأفغاني وتأمين مستقبله، ثم الالتقاء مع بقية الشعوب الأمة المسلمة، وخاصة القريبة من أفغانستان لبناء واقع جديد، يضمن استقلالها عن مشاريع الأمم، ويحفظ حُرُماتها، وبناء مشروع الأمة ونهضتها، بحيث تكون أفغانستان قادرة على فرض وجودها الجيوسياسي الإقليمي، والتأثير في قضايا الأمة، ضمن إقليم آسيا الوسطى، بل والعالم بعد ذلك.

السيناريو الثاني:

"حرب العملاء ودعم الأمريكان"

ويتمثَّل هذا السيناريو في نجاح الأمريكان وعملاؤهم في الداخل، نحو تحويل الساحة الأفغانية إلى ساحة استنزاف واسعة لحركة طالبان، عبر استخدام استراتيجيات إدامة الأزمات وتغذية النزاعات، وإبقاء الأوضاع السياسية والأمنية تراوح في مكانها، وإدخال البلاد في الحالة التي يطلقون عليها اسم "الدولة الفاشلة"، وبالتالي ضياع نتائج الجهاد والتضحيات لعقدين من الزمان، وخاصة بعدما إعلان أمريكا سحب جنودها من البلاد، ولكن مع نكث عهودها بحسب "اتفاقية الدوحة"، وتمديد موعد الانسحاب، ثم إعلان الانسحاب المفاجئ، مما يدل على أنها تجهز خطة بديلة للعب بمصير الشعب الأفغاني، عبر إعداد عملائها الأفغان حتى يبدأوا حربا جديدة ضد طالبان، مع قيام واشنطن بدعم عملائها عبر ضربات جوية؛ ويعتمد مآل هذا السيناريو على الاستراتيجية التي سوف تعتمدها طالبان، في دفعه ومواجهته، وقدرتها على إقناع الشعب الأفغاني بمشروعها السياسي، واستثمار فرصة الخلخلة التي نتجت عن الانسحاب الأمريكي، لتوجيه ضربات حاسمة ومتلاحقة لعملاء الأمريكان وإنهاء وجودهم.



السيناريو الثالث:

"تجدد التدخلات العسكرية الخارجية"

بحيث يتم تحضير الساحة الأفغانية لتدخلات خارجية جديدة، سواء باتفاق أو بدون اتفاق بين الأعداء المحيطين بأفغانستان، وأول المرشحين للتدخل العسكري هم الروس، يلونهم الإيرانيون بتنسيق فيما بينهم، كما فعلوا في سوريا، مع دفع الروس لبعض الحكومات العميلة حول أفغانستان، لكي تبدأ عملية التحرُّش بطالبان، كما أن الحكومة الهندوسية المتطرفة، يمكن أن تدخل على الخط بالدعم المادي والاستخباراتي؛ ويبقى خطر التدخل الصيني قائم أيضا ضمن هذا السيناريو، إلا إذا اشتعلت حرب جديدة بين عملاء أمريكا الأفغان وبين طالبان، فقد تختار الصين الدعم غير المباشر لطالبان.

ثالثا: العشرية الأولى لثورات الربيع العربي ومستقبلها

وفيها المسائل الثلاث التالية:

المسألة الأولى: دلالات القراءة المبدئية لثورات الربيع العربي

المسألة الثانية: نقاط الضعف والانكشاف في ثورات الربيع العربي

المسألة الثالثة: مستقبل وسيناريوهات ثورات الربيع العربي

المسألة الأولى: دلالات القراءة الأولى لثورات الربيع العربي:

لقد كانت ليالي وأيام التغيير التاريخية العظيمة، التي عاشتها بلدان ثورات الربيع العربي الخمس، كافية لكي تزلزل الأسس التي أرستها وخلَّفتها الحملة الصليبية الإنجليزية الفرنسية المشتركة في المنطقة العربية، وتزلزل النُّظُم التي نَصَّبتها قبل قرن من الزمان، وذلك عندما نجحت الحملة الصليبية الحديثة، بقيادة بريطانيا في احتلال أطراف جزيرة العرب ومضائقها الاستراتيجية، حيث احتلت ساحل عُمان عام 1819م، المُطل على مضيق هرمز الاستراتيجي، ثم احتلت عدن عام 1839م، المُطلة على مضيق باب المندب، ثم نجاحها في احتلال مصر عام 1882م، مثلما تمكنت فرنسا من احتلال الشمال الإفريقي بدء من الجزائر عام 1830م، وأتبعتها